

شبهات الحداثيين العرب حول تدوين السنة النبوية والرد عليها ج 1

الكاتب: شنوف عبدالهادي



شبهات الحداثيين العرب حول تدوين السنة النبوية والرد عليها [١]

ملخص:

هذه دراسة نقدية، تبرز أهم الشبهات التي أثارها الحداثيون العرب حول تدوين السنة النبوية وما يتعلق بها، ولقد حاولت ذكر أبرز الشبهات المتداولة حديثاً بين أوساط الحداثيين والعقلانيين، وبينت بطلان هذه الشبهات معتمداً في ذلك على جملة من الأدلة العقلية والنقلية، ومستعيناً بأقوال جملة من أهل العلم ممن درسوا هذه الشبهات وبينوا زيفها، متبعين في ذلك سقطاتهم، ومسلطين الضوء على عثراتهم وهناتهم، وموضحين الآليات القوية في التعامل معها، والله الموفق والمستعان، وعلى نبيه الصلة السلام.

مقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوَبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ
أَنفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضْلِلَ لَهُ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي
لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَبَعْدَ:
فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَيْرَ نَبِيٍّ مَرْسُولٍ، وَجَعَلَهَا خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ،
وَتَكَفَلَ اللَّهُ بِحَفْظِ دِينِ نَبِيِّهِ الْخَاتَمِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَخَّرَ رِجَالًا
عَلَى مِرَّ الْعَصُورِ كَانَ هُمْ هُمُ الشَّاغِلُونَ حَفْظَ هَذَا الدِّينِ وَالدِّفاعَ عَنْهُ،
وَمِنْذِ الْلَّحْظَةِ الْأُولَى مِنْ عَصْرِ الْخِلَافَةِ أَمْرَ أَبْوَ بَكْرٍ الصَّدِيقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -
الصَّحَابَةَ بِجَمْعِ الْقُرْآنِ وَتَدوِينِهِ، وَمَا فَتَئَ الزَّمَانُ حَتَّى قَامَ الْخَلِيفَةُ ثَالِثُ عُثْمَانَ
بِإِرْسَاءِ لِبْنَةِ رَاسِخَةٍ فِي حَصْنِ إِسْلَامِ الْحَصَينِ؛ فَنَسْخَ الْقُرْآنِ فِي مَصْحَفٍ

واحد وأرسل به للمدن والبلدان، وبقي أمر السنة النبوية المطهرة محفوظاً في القلوب والعقول، حتى بدأت بذرة التدوين، ويزغ عصر الصحيحين والسنن والمسانيد وغيرها من المصنفات، وما رافقها من أجواء الحفظ والنقد، والتدقيق والتحقيق، وما نتج عن ذلك من تصفية لكتب السنة التي بقيت حتى عصرنا هذا حاملة في طياتها كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك العصر تأسست أجواء الفهم والتحليل لنصوص الوحي، ودراستها، واستنطاق عباراتها، وتحليل إشاراتها، وحراسة مدلولاتها، وفهمها وتأويلها ضمن قوانين مضبوطة، وقواعد مشدودة ومناهج راسخة، مرتبطة بمقتضيات اللغة ومحتكمة للشرع وحدوده، خوفاً من أي تأويل مجازف، أو استنبط مخالف، وصيانة لنصوص الوحي من الإسفاف، والبعد عن قوانين التأويل المجانية لقواعد اللغة والشرع، فتشكلت منظومة متناغمة من أصول الدين والفقه، تحمل قواعد مستندة إلى أدلة شرعية ولغوية معلومة لكل مشتغل في هذا الفن.

ولقد بقى الأمر كذلك، حتى بُرِزَ عدد من الباحثين العرب؛ تناولوا نصوص القرآن والسنة بقراءة جديدة تُسمى بـ"الحداثة"؛ وهي قراءة تأويلية خارجة عن نطاق المعهود المنطقي، مستمدّة آلياتها من تجارب الغرب في فهم نصوصهم المقدسة، غير مكترثين لنتائج نصوصهم العقدية والفقهية بقدر ما تتوق إليه أنفسهم من النقد، باستخدام "نظريات عقلية" والتي كانت وليدة الصراع الحادثي الغربي مع الدين، مما يؤدي إلى إلغاء مصادر الدين وإسقاط عصمتها، والثورة عليها، والتحرر منها، وعزلها عن قائلها، والتعامل معها من منطلق عقلي تجريبي بحث.

ولقد أثار الحداثيون العرب عدة شبّهات حول السنة النبوية، شبّهات يشكّون بها في ثبوت السنة، ويتعسّفون في تأويل نصوصها، ويقلّلون من الجهود الضخمة المبذولة في خدمتها، ومن أهم المواقف التي كثُر كلامهم حولها موضوع تدوين السنة النبوية، وتأخر كتابتها، والكيفية التي تم بها جمعها.

وأمام هذا الواقع الصعب جاء هذا البحث بعنوان: " شبّهات الحداثيين العرب حول تدوين السنة النبوية والرد عليها " ليجيب عن التساؤل التالي:

• ماهي أبرز الأطروحات التي يتبعها الحداثيون العرب حول تدوين السنة النبوية؟ وكيف نرد على هذه الأطروحات ونبين بطلانها؟ وللإمام بشنايا هذا الموضوع الطويل في حدود الاشكالية المطروحة قسمت المداخلة إلى تمهيد عرفت فيه بالحداثة وتاريخ نشأتها عند العرب، وثلاث مطالب تناولت في كل مطلب شبهة من الشبهات المثارة حول تدوين السنة وما يتعلق به والرد عليها؛ فكان المطلب الأول لشبهة "عدم كتابة السنة في عهد النبي والصحابة التابعين" وخصصت المطلب الثاني لشبهة "حجية السنة النبوية فلو كانت حجة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابتها" أما المطلب الثالث فكان للحديث عن شبهة "الإسناد منافٍ للعقل ومنافق للمنهج القرآني".

وهنالك عدة أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه من أهمها:

- 1- تعالى أصوات المدرسة الحداثية المعاصرة لإعادة قراءة التراث ونقده، مدعين أنهم يقفون موقف المدافع عن الإسلام وإخراجه من الزاوية الضيقة التي وضع نفسه فيها.
- 2- تغير شريحة المستهدفين من الخطاب الحداثي العقلي، فبعد أن كانت كتابات الحداثيين العرب في الماضي عبارة عن مقالات يعبر فيها الكاتب عن رأيه، أصبحت اليوم هذه الكتابات تستهدف نخبة المجتمع الإسلامي، حتى تأثرت شريحة كبيرة من المثقفين العرب بل وحتى بعض طلاب العلوم الشرعية بهذه الأفكار.
- 3- الهجمة الكبيرة التي تتعرض لها السنة النبوية قصد الانقضاض من قيمتها وحجيتها.
- 4- كثرة الشبهات المثارة حول تاريخ تدوين السنة النبوية، إذ يعد هذا الموضوع مدخلاً لكل ناقد للسنة النبوية.
- 5- أما عن سبب اختيار هذه النماذج المذكورة من الشبهات؛ فذلك لأنها أكثر الشبهات انتشاراً بين الحداثيين وأتباع هذا الفكر والمتاثرين به، لذلك وجب

التنبيه عليها وبيان زيفها وبطلانها.

وتتجلى أهمية هذه الدراسة في توضيح مفهوم الحداثة ونشأتها، ونقد أبرز شباهاتها المثارة حول تاريخ كتابة السنة النبوية وتدوينها، ونقد كل الشبهات المتعلقة بهذا الموضوع، لنوضح أن هذا الفكر الغريب بعيد عن هويتنا وثقافتنا الإسلامية.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقاً للدفاع عن سنته نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيد:

قبل الكلام عن أبرز الشبهات التي أثارها الحداثيون العرب حول مسألة تدوين السنة، لابد من تعريف مصطلح الحداثة ونشأة هذا الفكر عند العرب والمسلمين وأهم الأسس التي يقوم عليها هذا الفكر.

أولاً: تعريف الحداثة:

الحداثة لغةً مشتقة من مادة "ح د ث"، وفي اللغة يُقال: "حدث حدوثاً وحدثة فهو حديث"، ويُقال: (حدث) نقىض (قدم) [2]. ومنه فكلمة حداثة كلمة نسبية؛ إذ كل ما هو قديم كان حديثاً نسبة لما قبله، وكل ما سيكون حديثاً في المستقبل سيؤول إلى قدم قياساً لما سيكون بعده، فالحداثة مصطلح لا يرتبط بنص معين، أو حديث معين [3].

أما في الاصطلاح فإن هذا المصطلح يتسم بالغموض، ما أدى إلى اختلاف واسع غير منضبط في تعريف الحداثة، فتعددت تعريفاتها بتنوع جوانب النظر إليها، فكان للباحثين في مفهومها تعاريف متعددة، والتعريف المختار

للحداثة هو: (محاولة صياغة نموذج للفكر والحياة يتجاوز الموروث ويتحرر من قيوده - ثوابته- ليحقق تقدم الانسان ورقيه بعقله ومناهجه العصرية الغربية لتطويع الكون لإرادته واستخراج مقدراته لخدمته) [4].

ويمكن تعريف الفكر الحداثي بأنه: (منهج فكري أدبي علماني، مبني على عدة عقائد غربية ومذاهب فلسفية، يقوم على الثورة على الموروث ونقده وتفسيره بحسب وجهة نظر القارئ) [5].

ثانياً: أسس الفكر الحداثي

إن أصحاب الفكر الحداثي العربي لهم تأثر كبير بالفكر الغربي ومنظريه، لذلك فقد تعامل الحداثيون مع النصوص الشرعية عامّة، والسنة النبوية بشكل خاص وفقاً للمعايير الغربية، الملخصة فيما يلي [6] :

1- "أنسنة الدين"، أي: إرجاء الدين إلى الإنسان، وإحلال الأساطير محل الدين.

2- تطبيق المبادئ النقدية الواقفة على النصوص المقدّسة.

3- وضع العمليّة أو "العقلانية" والدين على طرفٍ نقِيض، على أساس أن الدين فكراً غيبيّاً، يتعارض مع التفكير العلمي والعقلاني.

ثالثاً: نشأة الفكر الحداثي العربي

إن الحداثة -في أصلها ونشأتها- مذهب فكري غربي، ولد ونشأ في الغرب، ثم انتقل منه إلى بلاد المسلمين، نتيجة للملابسات التاريخية التي عانى منها المسلمون في القرن العشرين، من سقوط سيادتهم، واستعمار بلدانهم، وتوالي الهزائم الفكرية والنكسات العسكرية عليهم أمام الغرب، وفشل

التيارات العلمانية، والرأسمالية، والاشتراكية الشيوعية وغيرها في تحقيق ما وعده من شعارات التنمية والتحرر، الأمر الذي أجبر العلمانيين على إعادة النظر في أساليب العمل والنضال السابق[7].

ويمكن التأريخ للحداثة العربية ببداية "الصدمة الحضارية" المصاحبة للاحتلال الفرنسي النابليوني لمصر والذي يمثل المرحلة الأولى لظهور الفكر الحداثي العربي، هذه المرحلة سبقتها دراسات الغرب حول الشرق الإسلامي من خلال المستشرقين الذين درسوا العلوم العربية والإسلامية وخرجوا بأفكار عديدة تخدم مصالحهم، في هذه الفترة تصدى العديد من علماء العالم الإسلامي لهذه الأفكار وحاولوا أن يظهروا الإسلام بمظهر المتلائم مع الواقع خاصة الواقع الغربي، وكان من أعلام هذه المرحلة: رافع الطهطاوي، محمد عبده وأحمد رشيد رضا؛ والذين يعدون رواد الحداثة العربية الأوائل[8].

الإشارات المرجعية:

. ١

إعداد الباحث: شنوف عبد الهادي - طالب سنة ثانية دكتوراه ل.م.د،
تخصص: دراسات حديثية معاصرة - جامعة الشهيد حمـه لـخـضر - الـوـادي.

. ٢

ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: "حدث"، ج3/ص 75. والفيروز آبادي،
القاموس المحيط، مادة حدث.

. ٣

عبد الغني وائل، سقطة الحداثة والخصوصية الغربية، ص47. بتصرف.

. ٤

الحارث فخرى عيسى عبد الله، الحداثة و موقفها من السنة، ص33.

. ٥

أنس سليمان المصري، المنطلقات الفكرية والعقدية لدى الحداثيين للطعن في
مصادر الدين. ص81.

. ٦

المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

. ٧

عبد المجيد الشرفي، الاسلام والحداثة، ص 28.

. ٨

ينظر: الحارث فخرى، الحداثة و موقفها من السنة، ص 52، بتصرف.

المصدر:
موقع الالوكة

الكلمات المفتاحية:

#السنة-النبوية#شبهات-حول-السنة

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.